



قد تبدو التصريحات الأخيرة لوزير الخارجية الأمريكية، جون كيري، حول ضرورة الحوار مع الرئيس السوري بشار الأسد جديدة، لكنها في الواقع الحال ليست إلا ما دأبت واشنطن على تكراره منذ اليوم الأول لاندلاع الثورة السورية حول ضرورة الحوار مع الأسد من أجل خروجه من السلطة وبقاء نظامه.

وعلى الرغم من أن وسائل الإعلام المختلفة سارعت إلى الاستنتاج أن المسؤول الأمريكي لم يكرر ما ي قوله المسؤولون الأميركيون عادة من أن الأسد فاقد للشرعية، لكن كيري ربط -في المقابلة نفسها- التفاوض "الاضطراري" مع الأسد ضمن مقررات "جنيف-1" بين واشنطن وموسكو، وهي أول وثيقة تحدثت عن العملية السياسية الانتقالية، وتفسرها الحكومة الأمريكية على أنها تعني حكماً خروج الأسد من السلطة، حتى أن كثيرين يعتبرون أن اتفاقية "جنيف-1" هي "أعلى سقفًا" من وثيقة "جنيف-2"، التي شاركت في صياغتها المعارضة السورية.

ومثل كيري، بدت تصريحات مدير وكالة الاستخبارات المركزية "سي آي أيه"، جون برينان، الأسبوع الماضي، صريحة أكثر من العادة، أو فريدة من نوعها، لكن واقع الأمر يشي أن أحد أقرب المقربين إلى باراك أوباما، منذ أن كان يشغل منصب مستشار الرئيس لشؤون الإرهاب، لم يأت بما هو جديد، بل كرر ما مفاده أن واشنطن -النادمة على الإطاحة بصدام حسين ونظامه في العراق- لا تعتقد أن تغيير النظام في سوريا فكرة سديدة، بل إنها تعارضه وتعمل على منع سقوط النظام.

لكن برينان لم يقل، ولا للحظة، أن حكومة بلاده متمسكة ببقاء الرئيس السوري بشار الأسد، ولو سأل أحدهم برينان عن الأسد، لكرر القول إن واشنطن تعتقد أنه فاقد للشرعية وأن عليه الرحيل من ضمن عملية انتقال سياسية. والتصريحان، أي

التمسك بالنظام والقول بضرورة رحيل رئيسه، بما من ضمن "نقط الكلام" التي يكررها مسؤولو الحكومة الأمريكية تلقائياً وعلى كل المستويات.

"نقط الكلام" الثابتة هذه تعكس الكثير من تفكير الإدارة الأمريكية وسياساتها تجاه سوريا، فمسؤولو الحكومة الأمريكية لم يتلقظوا، منذ اندلاع الثورة السورية ٢٠١١، بكلمة "ثورة" عند حديثهم عن سوريا، ولا هم أطلقوا كلمة "ثوار" على السوريين المطالبين برحيل الأسد ونظامه، بل تمسكت واشنطن بكلمات "أزمة سورية"، وأشارت إلى الثوار بقولها معارضين، وأضافت إلى المعارضين كلمة معارضين معتدلين، على اعتبار أن فئة من المعارضين السوريين، خصوصاً "جبهة النصرة"، هم من المعارضين المتطرفين.

إذًا، لا ترى الولايات المتحدة أن السوريين خرجن فعلياً إلى الشوارع للمطالبة بتحقيق نظامهم، على غرار انتفاضات الربيع العربي الأخرى، ولا تعتبر أن رحيل الأسد هو لتلبية مطالبهم، بل ترى أن رحيل الأسد هو لتلبية رؤية واشنطن للتخلص من "العنف المتطرف"، أي إن إقامة "حكومة جامعة" في سوريا - مثل إقامة حكمي وحدة وطنية في العراق واليمن ترافقتا مع خروج الحاكم السابق من السلطة - هي جزء من "مكافحة التطرف"، ولا ترتبط بأي طموحات تعبّر عن هذه الشعوب لتحقيق حكوماتها والسعى لمستقبل أفضل.

ويصرّ أوباما أن استراتيجية هي الأفضل، وهو كالمديح متابهياً أثناء خطابه، العام الماضي، أمام أكاديمية وست بوينت العسكرية، عندما قدم اليمن أنموذجاً للشراكة مع حكومة وحدة وطنية وقوات أرضية محلية تقضي على المتطرفين،وها هو اليمن المفتتاليوم مثالاً على نجاح أوباما المزعوم وعلى سداد أرائه وأفكاره لمعالجة أزمات الاستبداد في سوريا والعراق واليمن.

لكنَّ مسؤولي أوباما يعرفون أن سياسة رئيسهم "أونطة"، ويعلمون أن أوباما ليس جاداً حتى في مكافحة الإرهاب، بل هو دفع حكومته إلى التلاعب بالألفاظ، بدلاً من تقديم سياسات فعالة، فصارت الثورة السورية أزمة سورية، وصارت الحرب على الإرهاب "مكافحة العنف المتطرف"، وتحول الثوار السوريون إلى معارضين، والمعارضون إلى ناشطين لا يسعون إلا إلى حفنة من المناصب الوزارية في حكومة وحدة مع نفس النظام الذي يشعّبهم عنفاً.

ومن كبار المسؤولين الأميركيين من عملوا عن كثب مع عشائر غرب العراق، ويعرفون طبيعة السكان والأرض، ويعلمون أن لا سبيل لفوز فريق على آخر، وأنه لا يمكن القضاء على الإرهاب من دون استئصال السكان المحليين، وهؤلاء لا يمكن استئصالهم ماداموا يشعرون بالغبن، ويؤمنون أن فريقهم، المحلي والإقليمي، مهزوم أمام الفرق المنافسة.

هؤلاء المسؤولون الأميركيون أنفسهم هم من يجوبون عواصم العالم لتسويق سياسات في العلن يعلمون في السر أنها مضيعة للوقت.

لهذه الأسباب، أطلق مسؤولو أوباما على الثورة السورية تسمية "أزمة"، ربما لأن الثورة تعني التغيير نحو الأفضل وتحتاج إلى تضحيات وصبر، بينما الأزمة تعني مشكلة آنية يمكن العمل على تقديم الحلول لها عن طريق "تطييب" الخواطر.

أما إن تعذرت هذه الحلول، يمكن وقتذاك إدارة "الأزمة السورية" بالتي هي أحسن، أو الانتظار إلى أن تحل الأزمة نفسها، أو حتى يخرج الرئيس الأميركي من الحكم من دون إنفاق أي رصيد سياسي مطلوب لإعطاء الثورة السورية القوة اللازمة لإيصالها إلى ختامها.

ولهذه الأسباب أيضاً نرى المسؤولين الأميركيين يتمايلون في تصريحاتهم ويتلاءبون في الألفاظ، لكن واقع الحال هو أن

أمريكا ليست مستعدة لفعل أكثر مما تفعله، وهو العمل على تقليله - لا إلغاء - تنظيم "الدولة الإسلامية"، وإقامة مهرجانات دبلوماسية حول مصير الأسد.

في كلتا الحالتين، فإن هذا ليس إلا إضاعة للوقت حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً، ويخرج أوباما من الحكم، ويسلم سياساته الخارجية لخلفه مع أقل ضرر ممكن لرصيده السياسي، ولصورته، التي سيرسمها المؤرخون الأميركيون مستقبلاً.

[العصر](#)

[المصادر:](#)